Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

قال لها: ((أطفال الشمس الذين سينهضون ويشعّون من الوحل، أنت وأنا وآخرون، وأولادنا وأحفادنا، أليسوا هم جوهر الزمان القادم؟)) (شموس الغجر١٢٣).

إذن فآثار ((شموس الغجر)) هي التي ستتكفّل بمكافحة فكر الردّة، والصمود في وجه الأعاصير. ومن الواضح أن (راوية) التي تعلمت من أبيها معنى التقدم، والثقة بالنفس، والتفكير الحر، والصدام مع الرجعية، في البيت والمحيط، لم تنقلب على هذه المفاهيم، في حين انقلب أبوها عليها، إثْر اعتقاله وتعذيبه في أقبية سلطة قمعية عاتية... وفي ضوء هذا التحول، وذاك الثبات، نفهم قول (بدر النبهان) لابنته (راوية): ((أصلاً الغجر هم أسلافك، بهذا اللسان السليط والوجه النحاسي تؤكدين بأن شمسهم لفحتك، وأن دمك ملوّث بلغتهم)) -(الرواية ٦٢). وأكاد أجزم أن هذه العبارات هي التي أوحت للكاتب حيدر بأن يختار ما اختاره عنواناً لروايته.

(ب)- الحيّز الروائي:

وإذا كان العنوان قد قدّم عوناً لنا في فهم الرواية، فإنّ الحيّز الروائي، أو بعضاً منه، وهو (البريّة) هنا، قد أدّى وظيفة أخرى من وظائف السرد، وساعد على رسم اللوحة المتناسقة في هذا العمل. ففي البريّة كان أبو راوية (بدر النبهان) يعلم ابنته معاني الثورة والعدالة، فتتغرس في نفسها حتى الأعماق... حتى إنه عندما ارتدّ الأب إلى التديّن أبت الابنة الارتداد. وعندما صار بيتها جحيما لايُطاق، رحلت عنه معلنة: ((أنا الآن ماينبغي أن أكون، في دمي صرخات الغجر السعداء بالحرية والفضاءات التي لاتحدّ)) - (الرواية ٧٦).

وفي (البرية) ذاتها باحت (راوية) لأختها (بيسان) بمضمون رسالة الحب التي بعث بها إليها حبيبها الفلسطيني (ماجد زهوان). وقد كانت أختها طفلة فوق تراب البرية العابق برائحة الأرض وشذا حليب الطفولة تشعر بالنشوة الروحية للزمان البدائي الأول... و(البرية) ذاتها هي الحيّز الروائي الذي اختاره الكاتب ليكون مسرحا تمارس فيه (راوية) برهة الحب البهيجة مع الشاب الفلسطيني الثائر... فالبرية إذا مكان الولادة والحب معا.

وهي وطن الغجر الذين كرّمهم (ماجد زهوان) ذات مرة، ففي مقطع روائي، يبدو هذا الشاب، وهو يقذف نحو الجمر بدفقات من الوسكي، فتتوهج مموّجة بلهب أرجواني... وعندما تَسْأله (راوية) لماذا هذا؟ يجيبها: ((كرمى